النوع الثامن

معرفة آخر ما نزل

فيه اختلاف، فروى الشيخان: عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، وآخر سورة نزلت: براءة[البخاري: ٤٦٠٥، ومسلم: ٤١٥٢ و٤١٥٣، وأحمد: ١٨٦٣٨].

وأخرج البخاريّ[٤٥٤٤] عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت آية الرِّبا.

وروى البيهقي[في «دلائل النبوة» (٧/ ١٣٨)] عن عمر مثلَه، والمراد بها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وعند أحمد[٢٤٦] وابن ماجه[٢٢٧٦ وهو حسن] عن عمر: من آخر ما نزل: آية الربا.

وعند ابن مَرْدُويه عن أبي سعيد الخدري قال: خطَبَنا عمرُ فقال: إن مِن آخرِ القرآن نزولاً آيةَ الربا.

وأخرج النسائي من طريق عِكْرمة، عن ابن عباس قال: آخر شيء نَزَل من القرآن: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٨١].

وأخرج ابن مردُويه نحوه، من طريق سعيد بن جُبير، عن ابن عباس بلفظ: آخر آية: نزلت.

وأخرجه ابن جرير من طريق العَوْفيّ والضحَّاك عن ابن عباس.

وقال الفِريابيّ في «تفسيره»: حدَّثنا سفيان، عن الكلبيّ، عن ابن صالح، عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ أحدٌ وثمانون يوماً.

وأخرج ابن أبي حاتم[(١)] عن سعيد بن جُبير قال: آخر ما نزل من القرآن كلِّه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وعاش النبيّ ﷺ بعد نزول هذه الآية تسعَ ليال، ثم مات ليلة الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول.

وأخرج ابن جرير مثله عن ابن جُريج.

وأخرج من طريق عطية عن أبي سعيد قال: آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ الآية.

وأخرج أبو عُبيد في «**الفضائل**»[(٢)] عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آيةُ الربا وآيةُ الدَّيْن.

---

(١) في «تفسيره» ٢/ ٥٥٤ (٢٩٤٤) البقرة: ٢٨١.

(٢) «فضائل القرآن» ص ٣٦٩.

وأخرج ابن جرير من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيَّب: أَنَّه بلغه أنَّ أحدثَ القرآن عهداً بالعرش آيةُ الدَّين. مرسل صحيح الإسناد.

قلت: ولا منافاةَ عندي بين هذه الرّوايات في آية الربا: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾ وآية الدَّيْن؛ لأنَّ الظاهر أنها نزلت دَفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة. فأخبر كلٌّ عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح، وقول البراء: آخر ما نزل: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾؛ أي: في شأن الفرائض.

وقال ابن حجر في «**شرح البخاري**»[(١)]: طريق الجمع بين القولين في آية الربا: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾ أنَّ هذه الآية هي ختام الآيات المنزَّلة في الربا، إذ هي معطوفة عليهنّ، ويجمع بين ذلك وبين قول البراء بأنَّ الآيتين نزلتَا جميعاً، فيصدق أن كلًّا منهما آخرٌ بالنسبة لما عداهما. ويحتمل أن تكون الآخرية في آية النساء مقيدة بما يتعلّق بالمواريث بخلاف آية البقرة. ويحتمل عكسه، والأوَّل أرجح لِمَا في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول. انتهى.

وفي «**المستدرك**» [(٢/٣٣٨)]: عن أُبيّ بن كعب قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨ ـ ١٢٩] إلى آخر السورة.

وروى عبد الله بن أحمد في «**زوائد المسند**»[(٢)] وابن مردويه، عن أُبَيّ: أَنَّهم جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر، وكان رجالٌ يكتبون، فلما انتهَوا إلى هذه الآية من سورة براءة: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [١٢٧] ظنّوا أن هذا آخرُ ما نزل من القرآن، فقال لهم أُبيّ بن كعب: إنَّ رسول الله ﷺ أقرأني بعدها آيتين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، وقال: هذا آخرُ ما نَزَل من القرآن، قال: فختَم بما فَتح به؛ بالله الذي لا إله إلا هو، وهو قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأخرج ابن مردُويه عن أُبيّ أيضاً قال: آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، وأخرجه ابن الأنباري بلفظ: أقرب القرآن بالسماء عهداً.

وأخرج أبو الشيخ في «**تفسيره**» من طريق عليّ بن زيد، عن يوسف المكيّ، عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

وأخرج مسلم [٧٥٤٦] عن ابن عباس، وقال: آخر سورة نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾.

وأخرج الترمذيّ [٣٠٦٣] والحاكم [(٢/٣١١)] عن عائشة قالت: آخر سُورة نزلت: المائدة، فما وجدتم فيها من حلالٍ فاستحلُّوه.. الحديثَ.

وأخرجا أيضاً عن عبد الله بن عمرو قال: آخر سورة نزلتْ سورة المائدة والفتح[(٣)].

قلت: يعني: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) «فتح الباري» كتاب التفسير ٩/ ١٧٤ (٤٥٤٤).
(٢) «زوائد عبد الله بن أحمد» رقم (١٤٣).
(٣) الترمذي (٣٠٦٣)، وقال أبو عيسى: وهذا حديث حسنٌ غريب. وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال: آخر سورة أُنزِلتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

وفي حديث عثمان المشهور: براءةٌ من آخر القرآن نزولاً.

قال البيهقي: يجمع بين هذه الاختلافات ـ إن صحت ـ بأنَّ كلّ واحد أجاب بما عنده.

وقال القاضي أبو بكر في «**الانتصار**»[(١)]: هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوعٌ إلى النبيّ ﷺ، وكلٌّ قاله بضَرْبٍ من الاجتهاد وغلبةِ الظنّ، ويحتمل أن كلًّا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبيّ ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، وغيرُه سَمِع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو. ويحتمل أيضاً أن تنزل هذه الآية التي هي آخرُ آيةٍ تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسمِ ما نزل معها بعد رسم تلك، فيظنُّ أنه آخر ما نزل في الترتيب. انتهى.

ومن غريب ما ورد في ذلك: ما أخرجه ابنُ جريرٍ عن معاوية بن أبي سفيان أنَّه تلا هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الآية [الكهف: ١١٠]، وقال: إنها آخر آية نزلت من القرآن. قال ابن كثير[(٢)]: هذا أثر مشكِلٌ...، ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آيةٌ تَنسَخُها، ولا تُغيِّر حُكْمها، بل هي مُثْبَتةٌ محكَمة.

قلت: ومثله ما أخرجه البخاريّ [٤٥٩٠، ومسلم: ٧٥٤١] وغيره عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: **٩٣**] هي آخر ما نزل، وما نسخها شيءٌ.

وعند أحمد [٢١٤٢] والنسائيّ [(٧/ ٨٥) و(٨/ ٦٣) وهو صحيح] عنه: لقد نزلت في آخر ما نزل، ما نسخها شيء.

وأخرج ابن مردويه من طريق مجاهد، عن أُم سلمة قالت: آخر آية نزلت هذه الآية: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ﴾ [آل عمران: **١٩٥**] إلى آخرها.

قلت: وذلك أنها قالت: يا رسول الله، أرى الله يذكُر الرجالَ ولا يذكر النساء، فنزلت: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: **٣٢**]، ونزلت: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: **٣٥**]، ونزلت هذه الآية، فهي آخر الثلاثة نزولاً، أو آخر ما نزل بعدما كان ينزل في الرجال خاصَّة.

وأخرج ابن جرير عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحدَه وعبادتِه لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارَقَها والله عنه راضٍ**». قال أنس: وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما نزل: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الآية [التوبة: ٥].

قلت: يعني في آخر سورةٍ نزلت.

وفي «**البرهان**» لإمام الحرمين: إنَّ قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية [الأنعام: ١٤٥]: من آخر ما نزل.

وتعقَّبه ابن الحصَّار بأن السورة مكية باتِّفاق، ولم يَرِدْ نقلٌ بتأخُّر هذه الآية عن نزول السورة، بل هي في مُحَاجَّة المشركين ومخاصمتهم وهم بمكَّة. انتهى.

---

(١) «الانتصار للقرآن» أبو بكر محمد ابن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦، وانظر «البرهان» ١/ ٣٠٠.

(٢) «تفسير ابن كثير» سورة الكهف؛ آخرها.

تنبيه: من المشكل على ما تقدّم قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فإنَّها نزلت بعرفة عام حَجَّة الوداع، وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها، وقد صرَّح بذلك جماعة؛ منهم: السُّدِّي، فقال: لم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرامٌ، مع أنه وارد في آية الربا والدَّيْن والكلالة أنَّها نزلت بعد ذلك.

وقد استشكل ذلك ابنُ جرير وقال: الأَوْلى أن يُتأَوَّل على أَنه أَكمل لهم دينَهم بإقرارهم[1] بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه، حتى حجَّةُ المسلمون لا يخالطهم المشركون. ثم أيَّده بما أخرجه من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان المشركون والمسلمون يَحُجُّون جميعاً، فلما نزلت براءةُ نُفِيَ المشركون عن البيت، وحجَّ المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحدٌ من المشركين؛ فكان ذلك من تمام النعمة: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣].

(١) في نسخة: بإفرادهم وهو صحيح أيضاً.